مجلة العلوم الانسانية الدولية، ١٤٣٠/٢٠٠٩ هـ.ق، العدد ١٦ (٤) ٢٩-٤١

تطوّرات ديوان البريد في عصرحكومة بيبرس في مصر و الشام*

احمد بادكوبه هزاوه[١]، قدريه تاج بخش[٢]

تاريخ الوصول: ١٤٢٩/٦/٢٥ تاريخ القبول: ١٤٢٩/٧/٢٠

هذا التحقيق بحث حول تطوّرات البريد في عصربيبرس. في بداية هذه المقالة يدور الكلام حول مبادرات بيبرس بهدف استقرار الأمن في مصر و الشام و مِن ثَمَّ يبحث علل التجديد و تطوّر البريد و الإصطلاحات و المناصب و شتّى أنواع البريد الجوّي و الأرضيّ و المنائر.

بعد تسلّط بيبرس على السلطة أخذ بتقوية القوات العسكرية و إغلاق الطرق المؤدية إلى مداخل الشام و مصبّ نهر النيل في دمياط لمواجهة البيزانس و الصليبيين. إضافة إلى هذا كان بيبرس بحاجة لشبكة منظّمة و دقيقة لكي يطّلع بسرعة على هجوم الأعداء على أراضي مصر و الشام و لذا يظهر أنّه اقتدى بالمغول في تجديد البريد للإطلاع على الأخبار و قام بتطوّرات عديدة في هذا المضمار. لهذا السبب ربط حدود الدولة بالقاهرة من جهة، و من جهة أُخرى قام ببناء المآذان لكي يراقب بشدة مناوشات الأعداء، و هذه التطوّرات مكنته من التحكم بالأوضاع و مِن ثَمّ التغلّب على عدوّه و استقرار الأمن في كل من مصر و الشام.

الكلمات الرئيسية: البريد، مصر و الشام، المماليك، بيبرس ،المغول، الصليبييون.

---

*. أنجز هذا البحث و تمّ بمساعدة مالية من جامعة طهران

١. استاذ مساعد في جامعة طهران، hazaveh@ut.ac.ir

٢. طالبة الدكتورا في التاريخ و الحضارة الإسلامية من جامعة طهران.

خُطة البحث

أصل و مادّة كلمة البريد غير معلومة. يعتقد البعض أنّها مأخوذة من الكلمة اليونانية Beredos أو اللاتينية Veredus، و البعض الآخر يعتقد بانّ أصل الكلمة هي فارسية و مختصرة من كلمة «بُريده دم» (أي مقصوص الذنب) لأنّ الإيرانيين القدماء كانوا يقصّون ذيل الخيل البريدى لكي يكون مميزاً، ويقول بعضهم بأنّ الكلمة عربية مأخوذة من مادّة «بَرد» أيّ أرسل و أصبحت «بريد» تدريجياً (القلقشندى، ١٤/٣٦٦-٣٦٧؛ أيضاً أنظر: ماجد، ١٩٦٤م، ١/٦٠). وفي الإصطلاح كان البريد بمعنى الخيل أو أيّ نوع من المراكب البريدية و أيضاً بمعنى الفاصلة بين الموقفين و كانت في الأغلب أربعة فراسخ (للإطلاع على المباحث الإشتقاقية لكلمة البريد، أنظر: سركاراتي، ٣/ ٣١٩-٣٢٠؛ آذرنوش، ١٢/٦٤-٦٦).

في العصور التاريخية المختلفة أُعتني بموضوع البريد في المصادر الموجودة و بأشكال مختلفة سواء كانت التواريخ عامّة مثل تاريخ الطبري، تاريخ اليعقوبي و...أو الكتب الجغرافية مثل كتاب «المسالك و الممالك» لابن خرداذبة أو المصادر الأدبية التي كانت تبحث موضوع البريد سواء كانت في إطار الحكايات القصيرة أو بصورة حكاياتٍ مفصّلة ومع هذا كان شهاب الدين أحمد بن فضل الله العمري(٧٠٠-٧٤٩ق) أوّل شخص اهتمّ بذكر معنى البريد و شرح مصطلحاته بالإضافة إلى تاريخ تطوّر البريد في العصر الإسلاميّ. وبعد حوالي مئة عامٍ كرّرَ القلقشندى روايات و أخبار إبن فضل الله العمريّ ووضّحها قليلاً في كتابه «صبح الأعشى في صناعة الإنشاء» و لهذا فإنّ هذين الكتابين يعدان من أكمل المنابع في عصر المماليك خاصّة و ذلك بسبب الاطّلاعات الوافية فيهما حول منظمة البريد. ومن البحوث الجديدة ما جاء به سواجة في قسم من كتابه باختصار حول هذا الموضوع(أنظر: بيبليوغرافية البحث).

هناك بعض الأخبار حول كيفية و عمل منظّمات البريد في العصر الإسلاميّ فقد اقتبس الأمويون هذا النظام من اليونانيين و صبغوه بصبغة إسلامية، و جهد العباسيون في تطوّره و تأثّر الفاطميون بهم و كانوا في غاية الإتقان فيه، و قد محا البويهيون منظّمة البريد في بغداد بهدف إخفاء الأمور عن الخليفة العباسيّ، و قد بدّل الأتابكة الزنجيون هذه المنظّمة بمنظّمة متطوّرة و منسجمة. مع هذا لم يكن الأمن مُستتباً في مصر و الشام و ضعف اقتدار الدولة في العصر الأيوبيّ و في بداية حكومة المماليك بسبب هجوم الصليبيين و المغول(القلقشندى، ١٤/٣٦٦-٣٧٠). هذه الأسباب دعت بيبرس – وبهدف الإشراف على الأمور – أن يقوم بتطوير منظّمة البريد. و سيجيب هذا البحث ضمن معالجة مبادرات بيبرس حول منظّمة البريد عن سؤالين:

١- ما هي التطوّرات التي قام بها بيبرس في النظام البريديّ في عصر المماليك؟

٢- ما هو هدف التطوّرات التي قام بها بيبرس في منظّمة البريد؟

المبادرة الأولي

بسبب اشتباكات المماليك في الجبهتين المغولية و الصليبية فإنّ تأسيس منظّمة البريد بهدف الإشراف على الأمور، والعمل على منع الغزوات و إيجاد الأمن في مصر و الشام كان صعباً. و لهذا قام بيبرس بسلسلة من المبادرات بسبب الحصول على الهدف المقصود. ففي عام (٦٥٩ ق) عمل على إدخال القبائل الساكنة حوالي نهر الفرات – وعلى رأسهم عرب خفاجة – في الجيش و شوّقهم بإعطاء الهدايا و الأموال لمحاربة هولاكو(المقريزي، ١٣٧٦ ق، السلوك...، ١/ق٢/٤٨٠،٤٥٦،٥١٠،٥٠١-٥١٢).

يقول المقريزى بانّ الخفاجيين أدّوا الوظيفة بأكمل وجه و وصلت غاراتهم إلى أبواب بغداد (المصدر نفسه). و كان هدف بيبرس هو إيجاد الإضطراب و عدم الأمن في مداخل الشام و تصدّي هجوم المغول. بعد عام (٦٦٠ ق) أمر بيبرس نائب السلطنة في حلب وبهدف إغلاق طرق عبور المغول بأن يقطع جميع الطرق المنتهية بالشام (المقريزي ، ١٣٧٦ ق، السلوك...، ١/ق٢/٤٧٣) ولهذا أحرقوا جميع المراتع و الحقول التي استفاد المغول منها عند تقدّمهم لكي يواجهوا قلّة المؤونة و العلوفة ولهذا السبب ينصرفوا من القتال[١]؛ لأنّ المغول كانوا لايعرفون تهيئة العلف لمواشيهم و إنّما كانوا بعبورهم من المناطق الخصبة يحصلون على ما يحتاجون إليه وكانت بلاد الشام بسبب أرضها الخصبة و خضرتها مِن الدوافع المهمّة لهذا الأمر (ابن فضل الله العمري، ١٤٠٨ق، التعريف...، ٢٠١؛ القلقشندي، ١٤/٤٠١). إضافةً إلى هذا عَمِلَ بيبرس إلى تجديد بناء القلاع المنهدمة في الشامّ التي تمتدّ من حمص إلى حوران و أملأها بالذخائر و الأسلحة حتّى أنّ الموادّ الغذائية و المعدّات في قلعة البيرة كانت تكفي لمدّة عشر سنوات (المقريزي، ١٣٧٦ ق، السلوك...،١/ق٢/٥٢٥). ومن ثَمَّ ببنائه أبراج المراقبة (إبن اياس، ١٣٩٥ق،١/٣٤٠؛ القلقشندي، ١٤/٣٩٩) و السور الدفاعي مِن شرق الأردن إلى نهر العاصي كان يراقب بشدّة مناوشات الصليبيين (Wiet,'le Sultan Baybars', Revue du Caire, tome .iii, p.٤١, ١٩٣٩-١٩٤٠). ثمَّ ملأً مصب النيل قُربَ دمياط بالصخور الكبيرة لكي يمنع عبور السفن الصليبية (ابن دقماق، ١٣١٠ق،٨١؛ ابن اياس، ١٣٩٥ق، ١/٣٤٠) ومرّةً أخرى أحيا في الأذهان حادثة لوي التاسع المؤلمة في دمياط (للتعرف على هجوم لوي التاسع لمصر و أسره أنظر: ابن خلدون،١٣٨٣ش، العبر،٤/٦٣١-٦٣٣). فكانت هذه المبادرات لها التأثير الكبير في تحكيم أساس الحكومة.

قد سعى بيبرس في إصلاح منظمّة البريد لأنّه أدرك مَدَي أهمية سرعة انتقال الأخبار و المراسِم الملكية في تحكيم الأوضاع خاصّةً عند اشتداد الحروب (المقريزي، ١٣٧٦ق، السلوك...، ١/ق٢/٤٤٦) و قد نَظَّمَ أمورالبريد تنظيماً حتّى كانت الرسائل تصل إليه من القاهرة إلى دمشق في أربعة أيامٍ والأخبار مرّتين كلّ أسبوع وعلى هذا الأساس كان إتّخاذ القرارات (ماجد، ١٩٦٤م، ١/ ٦٣؛ Wiet,'Baybars", ٢٠٠٣, EI٢, v.١, p.١١٢٤). كان أمر البريد مهمّاً جداً له بحيث أنّه استقبلَ مرّةً البريدي و هو يستحِمُّ[٢]! و إضافةً إلى هذا فعند توديعه لشرف الدين أبو محمّدعبدالوهّاب العمري، كاتب دِمَشق، أكد عليه في إرسال الأخباربسرعةٍ؛ خاصّةً الأخبار المتعلّقة بالمغول و الإفرنج و قد خاطبه فقال" عليك أن لاتصبح إلّا وقد أرسلت الأخبار إلى قبل طلوع الفجر"(ابن فضل الله العمري، ١٤٠٨ق، التعريف...،٢٤٢؛ القلقشندي، ١٤/٣٧٠). وقد شرع بيبرس عام (٦٥٦ق) ببذل الأموال الطائلة لتجديد منظّمة البريد بمساعدة عبد الوهّاب العمريّ والإستفادة من علمه ومعرفته (المصدر نفسه) وقد انتهى منها عام (٦٦٩ق) وقد أوجد تطوّرات أساسية فيها[٣] (ابن اياس،١٣٩٥ق، ١/٣٢٢). ابن فضل الله العمري- صاحب كتاب التعريف بالمصطلح الشريف- لم يكن على علمٍ وافٍ بأمور البريد في عصر الغزنويين، فبعدما أشار إلى انحلال أنظمة البريد بأيدي البويهيين[٤] و استغنائهم بالرسل و الخيول والمراكب[٥] و استمرار هذه الطريقة في عصر الزنج و الأيوبيين، يوضّح بأن بيبرس بعد مضي عدة قرون أحيا منظمة البريد (ابن فضل الله العمري، المصدر نفسه؛ القلقشندي، ١٤/٣٦٧-٣٧٠). و يقول جان سواجة مؤكداً على تجديد البريد في هذا العصر: كان البريد بهذه الدقة بعيداً عن مقدرة الكتّاب و عمّال ديوان الإنشاء و

يحتمل أنهم تأسوا بأسلوب أعلام المغول (خيل الأولاق، خيل اليام) مع أنّهم كانوا في ذلك الوقت على علم به (ابن فضل الله العمري، نفس المصدر،٢٥٣؛ القلقشندي، ١٤ /٣٨٥؛ sauvaget,١٩٤١, p.١٠-١٣).

وبقيت بعض من الآثار و الطرق البريدية والمحطّات و الأربطة ومنازل القوافل(الخانات)، ما يدل على منظّمة البريد في بعض نقاط مصر و الشام. ويظهر أنّ البريد في هذاالعصر لم يكن مسؤولاً لينقل أخبار عامّة النّاس بل كان البريد إحدى المنظّمات الحكومية المهمة و له علاقة وثيقة مع مراكز الحكومة (Ibid,p.١٨). كان مِن أبرز وظائف البريد إرسال الأخبار والتجسّس[٦]، إرسال الأخبار حول أحوال الولايات، خاصّةً المؤامرات، التمرّدات، القتل، اندلاع النيران الكبيرة (ابن فضل الله العمري، ٢٠٠١م، المسالك...، ٢٦٧/٣) و إبلاغ المراسيم الملكية إلى الولاة، القضاة، الخطباء و إحضارهم (مثلاً أنظر: ابن كثير، ١٤٠٧ق، ١٣ / ٢٦٩،٢٦٨،٢٦٧، ٣٠٨؛ المقريزي، ١٣٧٦ق، السلوك...، حوادث سنة ٦٥٨ ق إلى ٦٧٦ ق) و كان انتقال هذه الأخبار عن طريق الطرق الأرضية، الجوّية والأبراج. وقد أُحدِثَت تطوّرات أساسية في منظّمة البريد في هذه الأيام وهذا ما دعا إلى أن تكون منظّمة البريد الإسلامي أعظم المنظّمات البريدية في القرون الوسطى (عاشور، ١٣٧).

البريد الأرضيّ

أحدث بيبرس شبكة من طرق المواصلات الأرضية بهدف السيطرة على أوضاع مصر والشّام. كان الدرب الأرضي أو "الدرب السلطاني" يختلف عن درب العامّة (sauvaget,١٩٤١,١٥) و كان يستفاد منه للأمورالهامّة (بيبرس، منصوري، ١٤٠٧ق، ١٣٨؛ ابن فضل الله العمريّ، ٢٠٠١م، المسالك...،٢٦٦/٣؛ قارن: القلقشندي، ١١٤/١). كان مركز هذه الشبكة في قلعة جبل القاهرة وكانت هذه الشبكة تغطّي جميع مصر و الشّام (ابن فضل الله العمري، ١٤٠٨ق، التعريف...،٢٤٢، ٢٤٣؛ القلقشندي، ٣٧٣/١٤؛ أيضاً، أنظر: الخريطة الثانية الملحقة). يمكن تقسيم البريد الأرضيّ إلى قسمين: طريق بريد الشام، وطريق بريد مصر.

طريق الشام؛ كان يبدأ من قلعة الجبل و بعبوره من دمياط، غزّه، لدّ، قاقون، عين جالوت و بيسان يصل إلى دمشق ومن هناك طريق آخر يصل إلى حمص، حماة، حلب، طرابلس، بيروت، بعلبك، رحبه، البيره و إلى جميع المناطق[٧] (ابن فضل الله العمري، ١٤٠٨ق، التعريف...، ٢٤٨-٢٥٣؛ القلقشندي، ٣٧٩/١٤-٣٨٥). طريق مصر الأرضيّ؛ كان يتشعّب إلى ثلاث طرقٍ أصلية قوص، الاسكندرية و دمياط، و كان هذا الطريق يربط القاهرة بجميع أنحاء مصر. الطريق الأوّل كان يمرّ بالقاهرة ثُمَّ قوص ومن هناك كلّ يتشعّب إلى طريقين: طريق يمر بأرض النوبة والسودان والآخر يمرّ بميناء عيذاب و سواكن في ساحل البحر الأحمر. و الطريق الثاني بعد عبوره من القاهرة كان ينتهي بالإسكندرية عن طريق انشعابين: أحدهما قليوب، منوف، المحلّة الكبرى والآخر طريق بحيرة، دمنهور. الطريق الثالث أيضاً كان يتّصل بدمياط عن طريق سرياقوس و بلبيس (ابن فضل الله العمري، نفس المصدر، ٢٤٢-٢٤٧؛ القلقشندي؛ ٣٧٣/١٤-٣٧٨).

كان بيبرس يسعى كثيراً لتنسيق البريد و قد أنشا "مراكز"[٨]منظّمة في الطرق الأرضية للإستراحة و تبديل الخيول البريدية. وكان يتولّى أمورها بنفسه من حيث المؤونة و العناية بها(القلقشندي، ٢٧٢/١٤). وكانت هذه المراكز تحت مراقبة شديدةٍ وكان فيها الفرسان والخيول السريعة. كانت المسافة كما كانت من مركز إلى مركز آخر أربعة فراسخ (القلقشندي، ٣٦٦/١٤؛ ابن فضل الله العمري، المصدر نفسه، ٢٣٩؛ قارن: ابن شاهين،

١٩٤٠م،١١٨). أمّا في بعض الأحيان كانت هذه المسافة تتغير تبعاً للشرائط مثلاً القرب أو البعدعن الماء أو المدينة (القلقشندي؛ ٣٧٢/١٤؛ ابن فضل الله العمري؛ المصدر نفسه). كان اسم مراكز البريد ومسافتها تثبت وتكتب في دفترٍ. كان عمّال البريد عند المهمّة يستخدمون الخيول الفتية وكانوا يبدّلونَ أماكنهم بالغير وكانوا يوصلون المرسولات السلطانية إلى الولاة والحكام و يأتون بالأجوبة (ابن فضل الله العمري، ٢٠٠٧م، المسالك...، ٢٦٦/٣-٢٦٧).

و بسبب أهمية الخيول البريدية في تسريع الأخبار و مِن ثَمّ الممانعة مِن حصول الحوادث بُنيت اصطبلات مستقلّة بأمر بيبرس وسُميت باصطبل البريد (القلقشندي، ١١٤/١). وكانت قبائل العرب ذووالأراضي وأهالي النوبة يعطون شهرياً خيولاً لمنظّمة البريد (نفس المصدر،٣٧٧/١٤؛ ابن فضل الله العمري، ١٤٠٨ق، التعريف...، ٢٤٥).

كان عمّال البريد يكوون الخيول لتمييزها مِن غيرها (نفس المصدر، ٢٤٦؛ القلقشندي، ٣٧٧/١٤). ولم تُستَعمَل هذه الخيول إلّا في إرسال الأخبار إلى المراكز المعينة ومَن لم يكن معه المرسوم السلطاني لايستطيعُ أن يركبها (ابن إياس، ١٣٩٥ق،٢٣٢/١). إضافةً إلى ذلك كان هناك أشخاص يعرف كل واحد فهم بالسّائس وكان هذا و يقدِمُ على شراء الخيول وتضمين الماء والمؤونة لها (ابن فضل الله العمري، نفس المصدر، ٢٤٥) وكان السائق أيضاً يساعد مسؤول البريد طوال الطريق (ابن إياس، نفس المصدر) و كان مسؤول اصطبل البريد (أمير آخورالبريد) يعتني بأمور الإصطبلات البريدية (ابن فضل الله العمري، نفس المصدر، ١٢٧؛ قارن: السيوطي، ١٤٢٥ق،١٠٣/٢-١٠٤؛ للإطّلاع أكثر أنظر: عالم زاده، ١٤٧/١-١٥٠). فقابلية الدقّة والعناية في الطرق البريدية والسيطرة على الأوضاع كان لها أحسن وقع في نجاحات بيبرس العسكرية والسياسية وقد أدت إلى الإستقرار والأمن والرّخاء والرّفاهية للناس[٩].

البريد الجويّ

كانت الإستفادة مِن الحمام الزاجل كجزء مِن منظّمة البريد متداولةً في العصور القديمة منها العصر العباسيّ، والفاطمي و الزنج (ابن فضل الله العمريّ، نفس المصدر،٢٤٥؛ القلقشندي، ٣٩٠/١٤-٣٩١). في القرن السابع الهجريّ وبعد ضعف و انحطاط الأيوبيين وهجوم المغول على الشام دُمِّرَت محطّات الحمام الزاجل و اختلت أنظمة البريد تدريجياً و لم تستعدّ نظامها الأوّل (المقريزي، ١٢٧٠ق، الخطط، ٢٢٦/١-٢٢٧). و بعد سيطرة بيبرس على السلطة بتجديده بناء محطّات الحمام التي كانت تُسَمّى برج الحمام (القلقشندي، ٣٨٩/١٤) أعاد مرّةً أخرى طريق نقل البريد الجوّي وقد سعى و جدَّ كثيراً في تغيير نظام البريد وتكميله .

كان المركز الأصلي لشبكة المواصلات الجوية هو قلعة الجبل في القاهرة وعن طريق قوص، دمياط و الإسكندرية كان يتّصل بجميع مناطق مصر و مِن ثَمَّ عن طريق بلبيس والصالحية كان يتّصل بغزّة، البيت المقدس، بيسان و دمشق و من هناك يتّصل بصيدا، بيروت، طرابلس و جميع مناطق الشّام والأراضي الواقعة في ساحل نهر الفُرات. هكذا كانت تتّصل جميع مناطق مصر والشّام مع بعضها (ابن فضل الله العمريّ، نفس المصدر، ٢٥٤-٢٥٥؛ القلقشندي، ٣٩٢/١٤-٣٩٤؛ أنظر: الخريطة للمقالة).

لم تُشِر المنابع إلى المسافة بين البرج و الآخر؛ والقلقشندي فقط كان أعرف بالفاصلة بينها مِن محطّات (القلقشندي، ٣٩٢/١٤) وقد ذكر العمريّ بأنّ الفاصلة كانت ثلاثة أضعاف أو أكثر(ابن فضل الله العمري، ٢٠٠١ م، المسالك ... ،٢٦٧/٣).

في هذا العصر كانوا يستفيدون مِن الحمام الذكر لإرسال المراسلات لِأنَّه يميل إلى زوجه أكثر مِن بقية الطيور. وكانت طريقة إرسال المراسلات بهذا الشكل: عندما كان يرسِلُ الحمام الذكر إلى مكان ما كانت الحمام الأنثي تُحفظ في البرج. و بعد أن ينفِّذُ الحمام الذكر المهمّة يرجع بسرعةٍ لكي يلتحق بزوجه (گِلاب، ١٣٨٦ش، ١٠٧). و بنزوله على سطح البرج فإنَّ مسؤول البرج، وكان يسَمّي بالبرّاج، يأخذ الرسالة ويطلق الحمام وسط الحمائم الأنثى و بعد ذلك يودَع الرّسالة عند حمام آخر قد أُحضِرَ مِن قبل. هكذا كانت الرسالة تُنقَلُ مِن حمام إلى حمام آخر حتّى تصل إلى المقصد (ابن فضل الله العمري، نفس المصدر؛ القلقشندي، ١١٩/١). فعند هبوط الحمام الزاجل على برج القلعة كان السلطان يعلَمُ بذلك فوراً؛ فإذا كان نائماً يوقظونه و إذا كان على الغذاء يكفّ عنه[١٠]. لأنّه مِن المحتمل أن يحصل نزاع أو اختلاف أو حربٍ أو أزمة سياسية في أي ركن مِن أركان مصر والشّام. و لهذا فقد كانت محافظة و ضمانة الحمام الزاجل من الأمور التي تقلق الجهاز الإداري للحكومة.

في هذا العصر بسبب الروابط العدائية بين الإيلخانيين و الصليبيين مع دولة المماليك كان يستفاد من الحمام الزاجل لنقل الأخبار المهمة و السريعة (القلقشندي، ١١٨/١). لذلك عند وصول الخبر كان البرّاج بنفسه يعطي المرسلات إلى السلطان و كان كاتب السرّ يقرؤها عليه (القلقشندي، ١١٩/١؛ للاطلاع أكثر أنظر: ماجد،١٩٦٤م،٦٦/١؛ Sauvaget,١٩٤١,p.٤٥) وكانوا يكتبون الرسائل على ورق خفيف و صغير (ابن فضل الله العمري، نفس المصدر) بإسم "ورق الطير"(السيوطي، ١٤٢٥ق،٢ /٢٤١) بخط الغبار[١١] (العبادى، ١٤٠٦ق، ٢١٣) و كانوا يمهرون أسفل الرسالة بخاتم السلطان لمنع أيّ تغيير فيها (ابن فضل الله العمري، نفس المصدر). كانت الرسالة خالية من أيّ نوع من الحشو و الزوائد و المقدمات الطويلة التي كانت متداولة في هذا العصر و كانوا يكتفون بكتابة أصل الموضوع و تأريخه و اليوم و الساعة[١٢] و إضافة إلى ذلك كانوا ينسخون الرسالة إلى نسختين و يرسلونهما بواسطة الحمام في زمنين مختلفين غير معلوم عندنا ليطمئنّوا من سلامة وصول الأخبار إلى المقصد (القلقشندي، ١١٩/١). كذلك كانوا يشدّون الرسائل تحت أجنحة الحمام المحافظة عليها من الظروف الجوية السيئة (السيوطي، ١٤٢٥ق، ٢٤١/٢؛ المقريزي، ١٢٧٠ق، الخطط، ٢٣١/٢-٢٣٢). كان الحمام الزاجل أو "الحمام السلطانى" يختلف عن بقية الحمائم بوسيلة نقش علامة على المنقار و تصفيف و قصّ أذنابه (سرور، ١٣٠؛ Lane-poole,١٩٢٥,p.٢٤٦) و كانوا يلونون هذه الحمائم باللون الأزرق السماويّ لكي لا يشاهده أو يصيده أحدٌ عند الطيران (ابن فضل الله العمري، نفس المصدر).

كان ثمن و قيمة كل حمام زاجل يختلف و هذا يتعلق بنسبه، نوعه، لونه و المسافة التي يقطعها و غيرها من الميزات. فمثلاً كان يصل قيمة حمام سريع في بعض الأحيان إلى ١٠٠٠ دينارٍ[١٣] و كانت كلّ ميزات الحمائم مع علائمه تُكتَبُ في سجّل خاصٍّ (ابن فضل الله العمري، ٣٩٠/١٤-٣٩١؛ السيوطي، نفس المصدر؛ ابن الشاهين، ١٨٩٤م، ١١٧).

كانت للبريد الجوّي أنظمة خاصّة فكان هناك أشخاص مجرّبون يعتنون بأمور الحمام ويسمّون بالبرّاج. فكان البراج لا يرسل الحمام في مهمة عند الليل أو في الهواء الممطر أو عند جوعه (المقريزي، نفس المصدر) حتّى لا يهبط هذا الحمام إلى الأرض لالتقاط حبّةٍ أو أن يصابَ أو يقعَ في مأزقة. كان هناك أشخاص باسم الخدام يعملون بإشراف المقدّم. فكان الخدّام باستفادتهم من الجياد الفتية يحملون الغذاء و بقية الأشياء اللازمة للحمام إلى الأبراج. بناءً على قول ابن عبد الظاهر

الذي كتب كتاباً حول الحمام الزاجل، كان اهتمام و رعاية الدولة بأمور البريد لدرجة كبيرة حيث وصل عدد الحمام في برج حمام قلعة الجبل إلى ١٩٠٠ حمام زاجل (گِلاب، نفس المصدر؛ ماجد، ١٩٦٤م، ٦٤/١).

المنائر

لم يكتف بيبرس بالاستفادة من الخيول البريدية و الحمام الزاجل بل أقدم على إحداث المنائر أيضاً. المنائر وهي أبراجٌ للمراقبة بنيت بهدف مراقبة مناوشات الصليبيين و المغول وكان هناك عدد من الحراس يحرسون ويستعملون المناظر الخاصة (ابن فضل الله العمري، ١٤٠٨ ق، التعريف...، ٢٥٩؛ قارن: القلقشندي، ٣٩٨/١٤). بقصد الإشراف على جميع النواحي، بنيت المنائر على قمة الجبل أو الإرتفاعات و كانت تمتد مسلسلةً من أبعد نقطة في حدود الشام وهي البيرة و رحبة حتى قلعة الجبل (ابن فضل الله العمري؛ والقلقشندي، نفس المصدرين). كانت منارة الإسكندرية و الرشيد من أهم المنائر في هذا العصر و كانت المنائر بالنسبة إلى الخيول البريدية و الحمام الزاجل أسرع وسيلة ممكنة لانتقال الأخبار. يستند القلقشندي بأن شبكة الوسائل الإعلامية كانت ملوك الهند و استعمال هذه لأول مرة في مصرَ و الشام كانت مأخوذة و متأثرة من أنظمة البريد في الهند (القلقشندي، ٤٠٠/١٤). ففي هذا الأسلوب عند ما كانوا يشعرون بخطر من جهة المغول و الصليبيين براً أو بحراً أو يطلعون على أمرٍ كان الراصدونَ يرسلون علائم ففي الليل يشعلون النار و في النهار ينشرون الدخان و كانت العلائم تنتقل تدريجياً من منارة إلى أخرى حتى تصل إلى القاهرة (ابن فضل الله العمري، نفس المصدر، ٢٥٩) و مع هذا فإن الكتب و المصادر لم تشر إلى أحداث هذا الأمر.

الإصطلاحات و المناصب البريدية

سعة نفوذ المماليك و تعقيد الأمور في عصر بيبرس لم تكن تطوراً عميقاً في أنظمة البريد بل إن كثيراً من الاصطلاحات و المناصب البريدية تغيّرت أو تأسست من جديد. فهذه المنظمة الإدارية كانت بإشراف ديوان الإنشاء و كان صاحب الديوان يرأسها. و كان صاحب الديوان مسؤولاً يتلقّى الرسائل و يُبلغها و متصدياً يرسل الجواب إلى الإقسام المعيّنة (القلقشندي، ٣٦٦/١٤).

و كانت الرسائل تشتمل شتّى أنواع التقارير الإدارية، والسياسيّة و العسكرية و أخبار السرقة و الجرائم و أحوال الولاة و أمور ولاياتهم و كل الأمور الحكوميّة الصغيرة و الكبيرة (ماجد، ١٩٦٤ م، ٦١/١). في هذه الأيام كان متصدّي (مسؤول) انتقال الرسائل الحكومية (البريد) يسمّى بالبريدي[١٤] (القلقشندي، ١١٤/١-١١٥؛ نفس المصدر، ٣٧١/١٤). و كان متصدّو البريد من الرجال المعتمدين و ذوي الكفاءة (نفس المصدر، ١١٦/١-١١٨). كانوا ينقسمون إلى مجموعتين: المجموعة الأولى كانوا يرسلون الرسائل إلى النوّاب و إلى ولاة السلطان و المجموعة الثانية من معتمدي السلطان و متصدي الأمور المهمة منها إبلاغ الرسائل الملوك و إعطاء الحقوق، و الواجبات السنويّة، و كذلك خلع رجال الدولة (ابن فضل الله العمري، ٢٠٠١م، المسالك...، ٢٦٦/٣-٢٦٧).

يخطر بالبال أنّ وظيفة البريدي ليست فقط إرسال المراسلات و الرسائل الديوانية بل كانوا بمنزلة مبعوثي الرسائل الشفوية من السلطان إلى السلطات المختصّة أيضاً لهذا فإن القلقشندي يذكر بأن من صفات مسؤول البريد الذكاء و البلاغة و الفصاحة (القلقشندي، ١١٦/١). إضافة إلى ذلك كان عليهم أن يحملوا عند المهمة العلامة المخصوصة بالبريد و كان يقال لها "لوح البريد" بهدف التعرف على البريديّ عند الأمراء و الحكام. فكانت العلامة من الفضة و تشبه المسكوكات الظاهرية[١٥] و هي دائرية الشكل و على أحد وجهيها بعض الآيات و الأدعية و على الوجه

الآخراسم السلطان، تأريخ و محل سكّ العلامة. يقول القلقشندي بأنّ أحد وجهي المسكوكة قد حُكّ عليها عبارة «لا إله إلا الله، محمد رسول الله، أرسله بالهدى و دين الحقّ ليظهره على الدين كلّه و لو كره المشركون» و على الآخر «عزّ لمولانا السلطان الملك... ضرب بالقاهرة المحروسة» (نفس المصدر؛ أنظر: الصورة الثالثة).

كان البريدي يأخذ العلامة من الدوادار و هو المسؤول عن حفظه و يعلقها على صدره. إضافة إلى هذا كان البريدي يربط شرابة حريرية صفراء اللون حول عنقه طول الطريق و عند رجوعه كان يرجعها إلى ديوان الإنشاء[١٦] (القلقشندي، ١١٤/١؛ نفس المصدر، ٣٧٢/١٤). يحتمل أنّ حمل هذه العلامات على تأثير الأنظمة البريديّة المغوليّة في العصر المماليك لأن هذا النظام في الأدوار السابقة كان عند المغول مرسوماً و مشهوراً باسم "پيزه"(paiza) وكان المسلمون مُلمّين بذلك[١٧] و" المقدّم البريدي" كان من المناصب البريدية في هذا العصر (ابن شاهين، ١٨٩٤، ١١٥؛ القلشندي، ٢٢٧/٨). و كانت من وظائفه تهيئة اللوازم و ما يحتاجه البريدي في طول السفر و تقسيم أدوار العمل بينهم و جعل شخص باسم "السائق" لسياقة المراكب و أن يقومَ بخدمة عامل البريد. و كان هذا المنصب في آل بنى فضل الله و كان لهم منصب كاتب(دبير) ديوان الإنشاء (كسائي و برگ نيسي، ٣٢٥/٣؛ كراتشكوفسكي، ١٣٧٩ش، ٣١٩).

و كانت من وظائف«أمير آخور البريد» مسؤول اصطبل البريد مراقبة أمور الخيول البريدية و الإصطبل و تحويل الخيل إلى «البريدي»[١٨] وكان هناك أشخاص باسم «السائس» يهتمون بالأمور في الاصطبلات السلطانية وكانوا تحت نظارته. وظيفة كلّ سائس أن يهتمّ بثلاثة خيولٍ (القلقشندي، ٤٧٤/٣-٤٧٥).

«الدوادار(الدويدار) الكبير» أيضاً كان مسؤول حفظ الأسرار و الرسائل الحكومية فكان يطّلع السلطان على الرسائل و كان يأخذ منه التوقيع أمّا من حيث أن إتمام هذه الأمورصعب جداً على شخصٍ واحدٍ فكان عدد من السعاة باسم الساعي الثاني، الثالث...إلى العاشر يساعدونه (نفس المصدر،١١٥/١؛ السيوطيّ ، ١٤٢٥ق، ١٠٤/٢،١٠٢).

و إلى جانب مناصب البريد، فإنّ كثيراً من مصطلحات البريد قد تغيرت أيضاً: فمثلاً استعملوا «جراب» بدل من الخريطة و هي أكياس بريدية من الجلد (Quatremere,١٨٤٥,p.٦٧) و استعملت كلمة «المركز» بدل من السكة. كان كل مركز محطّات يتبعد عن الآخر بأربعه فراسخ أو أكثر وكانت هذه المراكز تستخدم للإستراحة أو لتعويض المراكز (خاصّة الخيول البريديّة) (ابن فضل الله العمريّ، ١٤٠٨ق، التعريف...، ٢٤٢-٢٤٣؛ القلقشندي، ٣٧٣/١٤). إضافةً إلى هذا بسبب المسائل الأمنية في إرسال الرسائل و التقارير ظهرت قوانين خاصّة؛ يقول العمريّ عندما كان البريديّ يرجع من المهمة فإنّ «اميرجاندار» وهومن الأمراء المئة مع الدوادار وكاتب السر يأخذون به عند السلطان فإنّ الدوادار كان يأخذ الرسالة منه و يعطيها إلى السلطان و السلطان بعد فتحه للرسالة كان يعطيها إلى كاتب السّر لكي يقرأها عليه (ابن فضل الله العمري، ٢٠٠١م، المسالك...، ٢٦٦-٢٦٧).

النتائج

١. إنّ هدف بيبرس من التغييرات في أنظمة البريد هو مواجهة المغول و الصليبيين و حفظ الأمن في مصر و الشام.

٢. إنّ بيبرس ربط بين حدود الدولة و بين القاهرة عن طريق البريد الأرضيّ، البريد الجوّي و المنائر و كان يراقب

بشدة مناوشات الأعداء؛ حيث أنّ اخبار دمشق كانت تصل مرّتين في الأسبوع إلى القاهرة في مدة أربعة أيام.

٣. كانت الطرق البريدية تختلف عن طرق عامة الناس و كان يستفاد منها في نقل الرسائل الحكومية المهمة.

٤. لم يكن "البريدي" مسؤولاً عن إرسال المكاتبات و الرسائل فقط بل كان يقوم بدور السفير الخاص للسلطان.

٥. ظهرت لأول مرةٍ مناصب في عهد بيبرس مثل أميرآخورالبريد، الدّوادار، المقدم البريدي، السائق و... و كذلك اصطلاحات مثل الجراب، المركز، و قوانين مثل حمل «لوح البريد» و الشرابة الحريرية و مراسم إبلاغ الرسالة إلى السلطان و ... .

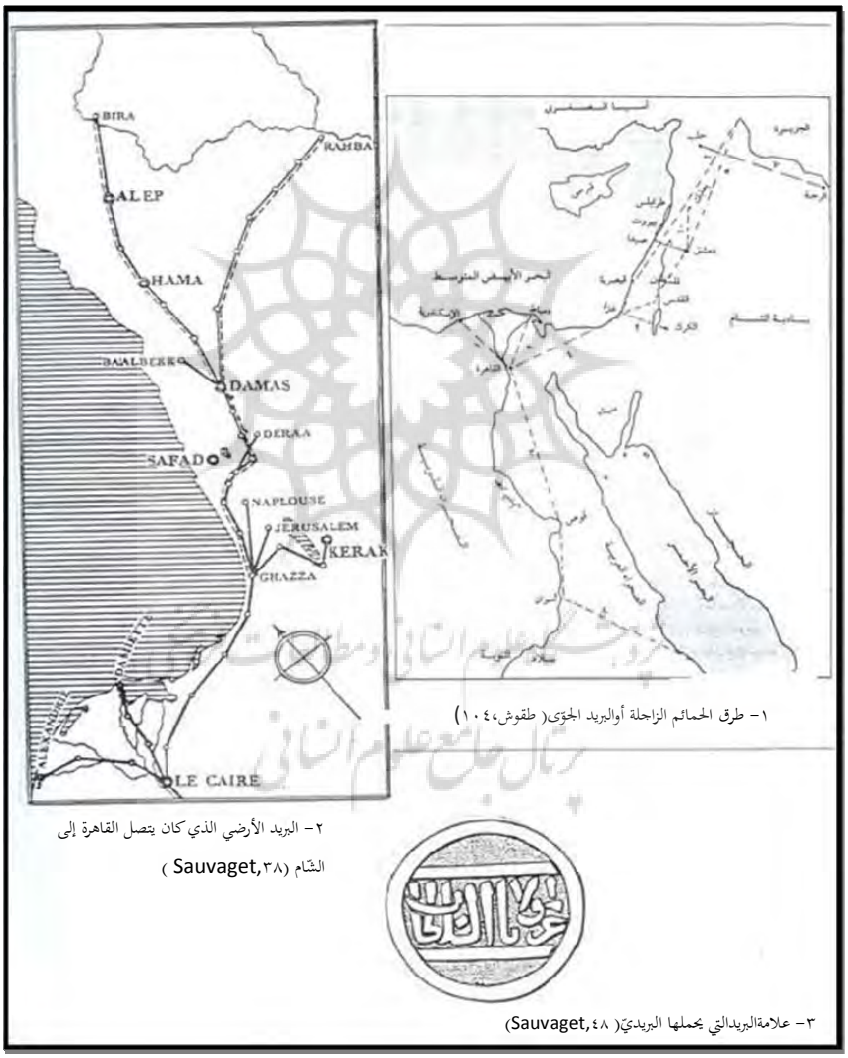

١- طرق الحمائم الزاجلة أوالبريد الجوّي(طقوش،١٠٤)

٢- البريد الأرضي الذي كان يتصل القاهرة إلى الشّام (Sauvaget,٣٨)

٣- علامةالبريدالتي يحملها البريديّ(Sauvaget,٤٨)

الهوامش:

١- إنّ الأراضي التي أقدموا على حرقها، كانت جميع الأراضي بين آمِد حتّى خلاط (المقريزي، ١٣٧٦ق، السلوك...، ١/ق٢/٤٧٣).

٢- كان مأمور (مسؤول) البريد حامل خبر هجوم الإيلخانيين على البيره وما عملوه مِن هَدمٍ و خرابٍ فيهاو أيضاً خبر انتصار أمير البيره عليهم بمساعدة حاكم حماة (المقريزي، نفس المصدر، ١/ق٢/٥٢٤).

٣- سمّاها بيبرس بعد إتمام أعمال البريد "البريد المنصور" (القلقشندي، ٣٢٢/٧).

٤- تُظهر المعلومات التي جاءت في المنابع بأنّ أوّل من أوجَدَ نظام البريد في عصر البويهى كان معز الدولة (الفقيهي، ١٣٥٧ش،٣٥٨)؛ و كان عضد الدولة أقدر من في آل بويه و قد أحدث أنظمة البريد منظمةً و كان ينتظر الأخبار من الفجر و يوبّخ من يماطل في عمله (ابن الجوزي، ١٤١٢ق، ٢٩٢/١٤-٢٩٣) و كانت سرعة انتقال الأخبار بشكل حتى أنّ" الخرائط" تصل من المناطق البعيدة إلى شيراز في ثمانية أيامٍ (الصابي،١٧-١٨) و من هنا يبدو أن إظهارت ابن فضل الله العمري و من بعده القلقشندي ليست صحيحة كاملة.

٥- كان في عصر آلب ارسلان شخصية باسم "صاحب الخبر".فعندما شاور نظام الملك أظهر بأنّه لا يحتاج إليه فكان معتقداً بأنّ أخبارهم تجرّ نظام الدولة إلى الإخفاق فانمحى عام ٤٥٥ق و سبب هذا يدّعي البنداري بأنّ انتشار الفرقة الإسماعيلية في ايران يرجع إلى عدم وجود أصحاب الخبر (البنداري، ١٤٠٠ق، ٦٨).

٦- عندما كان الملك بيبرس في سفره لدمشق وكرك أُرسِلَ إليه خبر بأنّ المغول يقصدون الهجوم على الشام. ولهذا اَرسَلَ من ساعته رسالةً إلى أمير قواته بدرالدين بيسري وأراد منه ٣٠٠٠ من سلاح الفرسان. وبعد ذلك أوصل "البريدي" من ساعته الرسالة إلى مصر(بيبرس المنصوريّ، ١٤٠٧ق، ٧٣).

٧- جاء سواحة بتأريخ سبعة طرق بريدية.مثلاً تاريخ تأسيس طريق دمشق بحلب سنة ٦٦٩ق، طريق دمشق بالبيره سنة ٦٦٠ق، طريق كرك سنة ٦٦١ق...، أنظر: ٢٤-٢٦.

٨- في هذا العصر كانت تستعمل كلمة "مركز"مكان "السَّكة"(ابن فضل الله العمري، التعريف...، ٢٤٢).

٩- يقول القلقشندي في هذا الشأن :"سرعان ما بدلت المراكز الخوف أمناً والوحشة أنساً" (٣٨١/١٤).

١٠- ينقل السيوطي هذا الكلام عن محي الدين بن عبد الظاهر-كاتب الإنشاء في عصر بيبرس (١٤٢٥ق، ٢٤١/٢).

١١- حروف الغبار:علامات اختصارية تطلق على الأعداد(ابن خلدون ،١٣٧٩ ش، المقدمة، ٦/١).

١٢- يقول ابن عبد الظاهر:"كنت أبدأ الرسائل بالبسملة و أختمها بحسبنا الله و نعم الوكيل بسبب بركة اسم الله"(السيوطي، ١٤٢٥ق، ٢٤٢/٢-٢٤١).

١٣- يسمّى أغلى و أحسن نوع الحمام بـ"هدى" (القلقشندي، ٣٩١/١٤،٣٨٩).

١٤- الجدير بالذكر، أن البريديّ كان يوصل الرسائل إلى المقصد عن طريق خيول البريد. أما في بعض الأحيان كان هناك شخص يسمّى ب"الساعي" (المأمور الراجل) فيقوم بهذه المهمة (Sauvaget,١٩٤١,p.٢١).

١٥- المسكوكات الظاهرية أو الدراهم الفضيّة كانت النقود الشائعة في عصر بيبرس فكانت ٢/٣ وزنها من الفضّة و ١/٣ الباقي من النحاس فكانت شكل هذه المسكوكات تشبه بقيّة مسكوكات العصر الإسلاميّ. في إحدي وجهيها لقب السلطان،"الملك الظاهر ركن الدين و الدنيا"و صورة

الأسد و هي العلامة الملكيّة و على الوجه الآخر قد نقرت عبارة «لا إله إلا الله، محمد رسول الله، أرسله بالهدى و دين الحق» وهي اقتباس من المسكوكات الإسلامية أيضاً(القلقشندي، ٣/٤٤٣،٤/٦١-٦٦).

١٦- كان اللون الأصفر لون العلم و إحدي علائم بيبرس الملكية(القلقشندي، ٤/٥٢-٥٤؛ ابن فضل الله العمري، التعريف...، ١٤٠٨ق، ٢٤٢).

١٧- يعتقد سواجة أنّ هذا النظام قد أسّسه أُكتاي خان عام ٦٣٤ق(ص٤٩).

١٨- إضافة إلى الخيل، فكان يعطيه رسالةً بعنوان «ورق الطريق» تشتمل على اسم عامل البريد و تاريخ و طريق السفر و ميزات الخيل البريدي و كان يضمّ نسخةً إلى نسخ ديوان الإنشاء (القلقشندي، ١/١١٤-١١٥).

المصادر و المراجع

[١] آذرنوش، آذرتاش، "البريد" ، دائرة المعارف بزرگ اسلامي ، ١٣٨٣ش ، بإشراف كاظم موسوي بجنوردي، طهران، مركز دائرة المعارف الاسلامية الكبرى.

[٢] ابن خلدون، عبدالرحمن، ١٣٨٣ش، العبر، ترجمة عبدالمحمد آيتي، طهران، معهد العلوم الانسانيّة و المطالعات الثقافية.

[٣] ـ، ١٣٧٩ش ، مقدمة ابن خلدون، ترجمه محمد پروين گنابادي، طهران، العلمي الثقافي.

[٤] ابن دقماق، ابراهيم بن محمد، ١٣١٠ق، ١٨٩٣م، الانتصار لواسطة عقد الأمصار، بيروت، مركز الموسوعات العالمية.

[٥] ابن شاهين، خليل، ١٨٩٤م، زبدة كشف الممالك و بيان الطرق و المسالك، بتصحيح بولن راويس، پاريس، المطبعة الجمهورية.

[٦] ابن كثير، إسماعيل، ١٤٠٧ق،/ ١٩٨٧م، البداية و النهاية ، باهتمام أحمد ابو ملحم و غيره،بيروت، داراالكتب العلمية.

[٧] بنداريّ أصفهانيّ، فتح بن عليّ، ١٤٠٠ق/١٩٨٠م، تاريخ دولة آل سلجوق (زبدة النصرة)، بيروت، دارالآفاق الجديدة.

[٨] بيبرس منصوري، ركن الدين، ١٤٠٧ق / ١٩٨٧ م ،كتاب التحفة الملوكية في الدولة التركية، باهتمام عبدالحميد صالح حمدان، القاهرة، الدارالمصرية اللبنانية.

[٩] سركاراتي، بهمن، "بريد(١)"، دانشنامه جهان اسلام، ١٣٧٦ش، بإشراف غلامعلي حداد عادل، طهران، مؤسسة دائرة المعارف الاسلامية.

[١٠] سرور، محمد جمال الدين،لاتا ، دولةالظاهر بيبرس في مصر ،القاهرة، دارالفكرالعربي.

[١١] سيوطي، جلال الدين عبدالرحمن، ١٤٢٥ق/ ٢٠٠٤ م ، حسن المحاضرة في تاريخ مصر و القاهرة، حقّقه محمد ابوالفضل ابراهيم، صيدا، المكتبة العصرية .

[١٢] صابي، هلال ، ١٤٠٦ق/١٩٨٦م ، رسوم دارالخلافة، بإهتمام ميخائيل عوّاد ، بيروت.

[١٣] طقوش، محمد سهيل، ١٤١٨ق /١٩٩٧م، تاريخ المماليك في مصر و بلاد الشام، بيروت، دارالنفائس.

[١٤] عاشور، سعيد عبدالفتاح، لاتا، الظاهر بيبرس، القاهرة ، الموسسه المصرية العامّة .

[١٥] عالم زاده، هادي، "آخورسالار"، دائرةالمعارف بزرگ اسلامي، ١٣٨٣ش، بإشراف كاظم موسوي بجنوردي، طهران، مركز دائرة المعارف الاسلامية الكبري.

[١٦] العبادي، احمد مختار، ١٤٠٦ ق/ ١٩٨٦م، قيام دولة المماليك الاولي في مصر و الشام، بيروت، دارالنهضة العربية.

[١٧] ابن فضل الله العمريّ، شهاب الدين أحمد بن يحيي، ١٤٠٨ ق/ ١٩٨٨م، التعريف بالمصطلح الشريف، حقّقه محمد حسين شمس الدين، بيروت، دارالكتب العلمية.

[١٨] ـ، ٢٠٠١م ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، حقّقه محمد عبدالقادر خريسات وغيره، دولة الامارات المتحدّة العربية، مراكز زايد للتراث و التاريخ.

[١٩] الفقيهي، على أصغر، ١٣٥٧ش، آل بويه و اوضاع زمان ايشان با نموداري از زندگي مردم در آن عصر، طهران، صبا.

[٢٠] القلقشندي، شهاب الدين أحمد بن علي، بلا تا، صبح الأعشي في صناعة الانشاء، القاهرة، وزارة الثقافة و الارشاد القومي.

[٢١] كراتشكوفسكي، ايجناتي، ١٣٧٩ش، تاريخ نوشتههاي جغرافيايي در جهان اسلامي، ترجمه(بالفارسية) ابوالقاسم بايندة، طهران، العلمي و الثقافيّ.

[٢٢] كسائي، نورالله و ناديا برگ نيسي، "بريد(١)" ، دانشنامه جهان اسلام، ١٣٧٦ش، بإشراف غلامعلي حداد عادل، طهران، مؤسسة دائرة المعارف الاسلامية.

[٢٣] گِلاب، جان باگت، ١٣٨٦ش، سربازان مزدور: سرگذشت مماليك، ترجَمهُ مهدي گلجان، طهران، اميركبير.

[٢٤] ماجد، عبدالمنعم، ١٩٦٤م، نظم دولة سلاطين المماليك و رسومهم في مصر، القاهرة،مكتبة الأنجلو المصرية.

[٢٥] المقريزي، تقي الدين أحمد علي، ١٣٧٦ق/١٩٥٧، السلوك لمعرفة دول الملوك، حقّقه و صحّحه محمد مصطفي زيادة، القاهرة.

[٢٦] ـ، ١٢٧٠ق، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط و الآثار، بولاق .

[٢٧] Lane Poole .s , ١٩٢٥, History of Egypt in the middle Ages, London.

[٢٨] Quatremere. E.T, ١٨٤٥, Histoire des sultans mamelouks de L’ Egypt, Paris.

[٢٩] Sauvaget. jaune, ١٩٤١, La post aux chevaux l’ empire des mamelouks, Libraire d’ Amerique et d’ orient, paris.

[٣٠] Wiet. Gaston, ٢٠٠٣, " BAYBARS I", Encyclopaedia of Islam, New Edition, vol. I , P. ١١٢٤- ١١٢٥, Leiden, Brill Academic.

[٣١] Ibid , ١٩٣٩-١٩٤٠ “Le sultan Baibars", Revue du caire , tome. I I I, P.٤١.

تحوّلات دیوان برید در دوره زمامداری بیبرس درمصر و شام*

احمد بادکوبه هزاوه[1]، قدریه تاج بخش[2]

تاریخ دریافت: ۱۳۸۷/۴/۹ تاریخ پذیرش: ۱۳۸۷/۵/۲

پژوهش حاضر جستاری است در تحوّلات برید در دوره بیبرس. دراین نوشتار، نخست، از اقداماتی که بیبرس با هدف استقرار امنیت در مصر و شام انجام داده بود، سخن خواهد رفت؛سپس به علل بازسازی و تحوّل برید، اصطلاحات و مناصب و گو نه های متعدد برید هوایی، زمینی و مناره ها پرداخته خواهد شد؛ بیبرس پس از دستیابی به سلطنت، برای مقابله با مغولان و صلیبیان به اقداماتی چون تقویت نیروی نظامی، انسداد مسیرهای ورودی شام و مصبّ رود نیل در دمیاط و ... دست زد. با این همه، وی به شبکه نظام مند و دقیقی نیاز داشت تا به سرعت از تهاجم دشمن به اراضی مصر و شام اطلاع یابد؛ از این رو، وی ظاهراً به تأسّی از خبر رسانی مغولان سازمان برید را باز سازی کرد و به تحولاتی گسترده در آن دست زد. بیبرس برای تسریع در انتقال اخبار از سویی برید زمینی و هوایی را تأسیس کرد و بدان وسیله مرزهای دولت را با قاهره مرتبط ساخت و از سویی دیگر با ساخت مناره ها تحرکات دشمن را به دقت زیر نظر داشت. این تحولات به وی امکان داد تا ضمن تسلط بر اوضاع به زودی بر دشمن خود فایق آید و امنیت را در سراسر مصر و شام بر قرار سازد.

کلید واژگان: برید، مصروشام، ممالیک، بیبرس، مغولان، صلیبیان.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

---

* این پژوهش با مساعدت مالی دانشگاه تهران صورت گرفته است.

۱.استادیار دانشکده الهیات دانشگاه تهران

۲. دانشجوی دکتری تاریخ و تمدن ملل اسلامی دانشگاه تهران